

الابلاء لمصلحة الإنسان



﴿نَحْنُ عَبِيدٌ لَّهٗ، وَإِذَا كُنَّا عَبِيدِيْنَ، فَإِنَّا أَعْرَفُ بِمَا هُوَ صَالِحٌ لَنَا، وَمَا هُوَ فَاسِدٌ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)﴾ (الأنباء / 23).

نحن يضرّ بعضنا بعضاً نتيجة عقدة، أو نحاول أن نعبر عن ضعفنا بهذه الطريقة، لكن الله سبحانه وتعالى، هو الغني عن وجودنا، وعن الكون كله. يتصور الناس أنَّ الله يريد أن ينتقم من فلان، أو يتضايق من فلان، يجب أن لا نفكر بهذه الصورة، لأنَّ كلَّ وجودنا لا يؤثر بمقدار ذرة على الله سبحانه وتعالى. من الأفضل أن نتذكّر هذه الآية، عندما ترى نفوسنا شيئاً ما. الآية تقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَرْزُخُنَا الْفُقْرَاءُ إِلَيَّ الَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمَدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ * إِنْ يُؤْمِنُ هَذِهِ كُلُّمُ وَيَأْتِيْنَتْ بِرَحْلَاتِكَ عَلَيَّ الَّهُمَّ بِرَحْلَاتِكَ يَرْعَزِيزِيْ) (فاطر / 15-17)، فلا نتصور أنَّ الله عندما يبتلي فإنه يبتلي لمصلحته، وعندما ينعم فإنه ينعم لمصلحته أيضاً. قد يكون الفقر خيراً لك، وقد يكون الغنى خيراً لك، (فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ وَأَمَّا كَرْمُهُ وَزَعْمَهُ فَيَقْرُفُ وَلُرَبِّيْ أَكْرَمَنْ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ رَعَلَيْهِ رَزْقَهُ فَيَقْرُفُ وَلُرَبِّيْ أَهَازَنْ * كَلَابَلَ لا تُكْرِمُونَ الْيَتَامَيْ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَيَّ طَعَامَ الْمَسْكِينِ * وَرَأَكُلُونَ التَّرَاثَ أَكَلَ لَامَيْ * وَتُحِبِّونَ الْمَالَ حُبَّا جَمِيْ) (الفجر / 15-20)، إنَّ كلَّ ما يحدُث هو اختبار يجب أن لا تعرّض عليه، فإذا جاءك الشيطان وأنت في حالة سُيّئة، كأن تكون فجعت بفاجعة، أو فقدت عزيزاً، أو حلّت بك نكبة أو مشكلة، فاعتبر أنَّ كلَّ شيء هو من قبل الله سبحانه وتعالى. فالمرص لمصلحتك، والصحة لمصلحتك، والغني لمصلحتك، مما دمت معترفاً بها، وبأنَّ الله لا يفعل شيئاً إلا عن حكمة وعن مصلحة، فعليك أن تعرف بأنَّه لا يفعل شيئاً عن حاجة أو عن هوى. فعلى أي أساس تعرّض على الله؟ إنَّ هذا يأتي من نقص الإيمان، فمن تخطر بذهنه هذه الأفكار أو تظهر على لسانه يجب أن يداوي إيمانه، فكما إذا أحسست بحالة غير طبيعية في قلبك، أو حركة غير طبيعية في معدتك، فإنك تذهب للطبيب، كذلك، إذا أحسست بحركة غير طبيعية في إيمانك فارجع إلى الطبيب أيضاً، إرجع إلى القرآن، ولمن يفهمون القرآن، حتى يتركز إيمانك.

إنَّ قلوبنا تشكك ولا ترتتاب في أي شيء يتعلّق بك يا ربَّ " وعلى قلوب اعترفت باللهيتك محققةً
وعلى جواح سعت إلى أوطان تعبُّدك طائعةً". الجواح هي الأعضاء، يقول: يا ربُّ عندما تريد أن
تعذِّبني، فستعذب بيدي ورجلي وصدرني وظهري وكلَّ أعضائي تلك كانت تحرّك في ما تحبُّه وترتضيه من
العبادات، فكيف تعذِّب اليد أو الرجل، التي تحرّكت في عبادتك وطاعتك؟▶